

أضواء البيان

@ 430 { وَتَمَّتْ كَلِمَةً رَبِّكَ لَا مَلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } قال : فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين ، وقد قدمنا الآيات الموضحة لهذا في سورة يس في الكلام على قوله تعالى : { لَقَدْ دُحِّقَ الْقَوْلُ عَلَىٰ أَكْثَرِهِمْ } ، لأن إقسامه تعالى في هذه الآية المدلول عليه بلام التوطئة في لأملأن على أنه يملأ جهنم من الجنة والناس ، دليل على أنها لا بد أن تمتلئ ، ولذا قالوا : إن معنى هل من مزيد ، لا مزيد ، لأنني قد امتلأت فليس في محل للمزيد ، وأما القول الآخر ، فهو أن المراد بالاستفهام في قول النار : هل من مزيد ؟ هو طلبها للزيادة ، وأنها لا تزال كذلك حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول : قط قط أي كفاني قد امتلأت ، وهذا الأخير هو الأصح ، ولما ثبت في الصحيحين ، وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وسلم (أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط) ، لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها قط قط ، أي كفاني قد امتلأت ، وأن قولها قبل ذلك هل من مزيد لطلب الزيادة ، وهذا الحديث الصحيح من أحاديث الصفات ، وقد قدمنا الكلام عليها مستوفى في سورة الأعراف والقتال . واعلم أن قول النار في هذه الآية : هل من مزيد ، قول حقيقي ينطقها □ به ، فرغم بعض أهل العلم أنه كقول الحوض : (أن جهنم لا تزال تقول هل من مزيد حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط) ، لأن في هذا الحديث المتفق عليه التصريح بقولها قط قط ، أي كفاني قد امتلأت ، وأن قولها قبل ذلك هل من مزيد لطلب الزيادة ، وهذا الحديث الصحيح من أحاديث الصفات ، وقد قدمنا الكلام عليها مستوفى في سورة الأعراف والقتال . واعلم أن قول النار في هذه الآية : هل من مزيد ، قول حقيقي ينطقها □ به ، فرغم بعض أهل العلم أنه كقول الحوض : % (امتلأ الحوض فقال قطني % مهلاً رويداً قد ملأت بطني) % . وأن المراد بقولها ذلك هو ما يفهم من حالها خلاف التحقيق وقد أوضحنا ذلك بأدلته في سورة الفرقان في الكلام على قوله تعالى : { إِذَا رَأَوْهُمُ مِّنْ مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهُمْ لَهَافَ تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا } . والعلم عند □ تعالى . قوله تعالى : { وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ } . قوله : أزلفت أي قربت . وقوله غير بعيد : فيه معنى التوكيد لقوله : أزلفت سواء أعربت غير بعيد بأنها حال أو طرف ، وما تضمنته هذه الآية الكريمة من إزلاف الجنة للمتقين جاء في مواضع أخر من كتاب □ كقوله تعالى : { وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ } ،

وقوله تعالى : { وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ وَبُورَّتِ الْجَنَّةُ
لِلْغَاوِينَ } .